شاهراً ظلمها ومساوئها ؛ كما ناصر الطهريين كثيراً في تقويض دعائم الكاثوليكية . والطهريون فى ثورتهم على الكاثوليكية ومن ورائها الملكية ، أشبه ما يكونون في التاريخ العربي بالخوارج فى ثورتهم على العلويين أولا والأمويين ثانياً ؛ ووجه الشبه بينهما اختلاط الدين بالسياسة فى مبادئهما . وما مبادئ الطهريين التى هبوا متشمرين للنضال السياسى فى تحقيقها ، إلا صورة من المبادئ الوهابية فى جزيرة العرب . ولقد كانت الدعوة الطهرية فى بادئ أمرها دينية محضة ، أي كدعوة الخوارج إبان خروجهم على علي ، ولكنها — كثيلتها — لم تلبث أمام أرستقراطية الملوك أن تنكرت لهم ، واصطبغت لمجالدتهم بالصبغة السياسية ، فقد ناهض الطهريون الملوك مناهضة عنيفة ، وأنكروا عليهم حقهم الآلهي فى السيادة والسلطة ، وانتزعوا لفظه من أفواههم بعد أن كانوا يتشدقون بمضغه تشدق من يمضغ لقمة دسمة . وما انتصار النظام الدستورى فى انكلترا وانهيار دعائم الملكية إلا رمزاً لانتصار المبادئ الديمقراطية على الأرستقراطية ، بل صورة لانتصار الطهريين على جميع منافسيهم ، ذلك الانتصار الذى أملى على ملتون ملحمته الشهيرة المعروفة بالفردوس المفقود ، وهي صورة حية لما كان عليه الدين إذ ذاك من التبلبل والانقسام ، تطلعنا على مدى ما وصل إليه الطهريون فى جهادهم لتدعيم أسس حرية الشعب الدينية والسياسية تلك الحرية التى أنجبت أمثال دن ، وبنيان ، وملتون

ومن كتابات ملتون السياسية رسالته المعروفة : بـ Tenure of King and Magistrates وقد كتبها عام ١٦٤٩ دفاعاً عن إعدام الملك — ذلك الإعدام الشنيع الذى صوره فيما بعد بصورة ترتعد منها الفرائص وتقشعر لها الأبدان فى كراسته المعروفة بـ Eikon Basilike

وإذ كان ملتون ظهيراً لكرمويل ومساعداً له ضد الملكية الظالمة ، فقد عينه هذا بعد تسنمه سدة الحكم بمدة وجيزة — أى عام ١٦٤٩ — ترجماناً له فى قسم السكرتارية اللاتينية ، وكان عمله ترجمة جميع الدواوين والرسائل إلى اللغة اللاتينية ، إذ كانت اللاتينية إذ ذاك هى اللغة السياسية الوحيدة المتفق عليها بين جميع دول أوربا

« يتبع »

خليل محمد الطوال

أبحاث تاريخية جديدة

الإسلام فى غرب أفريقية

مدى انتشاره فى تلك الأقاليم ومبلغ أثره فى الأهلين

للأديب جمال الدين محمد الشيال

تتمـــة

ولقد حمل إليهم الإسلام أيضاً نظام الحكم الديموقراطى . ذلك أن نظام الادارة فى الاسلام نظام ديموقراطى — لا فارق بين رجال الدين وعامة الشعب — فرئيس المقاطعة هناك هو الليمان Liman (ويبدو لى أنها محرفة عن لفظة الامام العربية) ويختار من بين أفراد الشعب ، وكل الصفات التى يراعيها الناس أثناء انتخابه هى أن يكون على خلق طيب وأن يكون ملماً بالقرآن إلماماً لا بأس به . ومن وظيفته أن يؤم الناس فى الصلاة . وليس هناك نظام مركزى يوحد بين هؤلاء الليمانز Limans ، فكل منهم مستقل فى إدارته . ويزود الليمان هو والمالم Malam (وأرجح أن أصلها معلم ، فوظيفته تعليم الناس ولا بد أن يكون على علم ولو قليلاً بالقرآن) بما يقدمه الناس لهم من عطايا عن طيبة خاطر . ومهمة هؤلاء المعلمين Malams تعليم الصغار ؛ غير أنا أكثر اعتمادهم فى الكسب على التمائم التى يقدمونها للناس . والمعلمون كذلك أطباء يستخرجون الأدوية من جذوع الشجر وأوراقه . ومعظمهم طفيليون على المجتمع ، بل إن بعضهم يستخدم تلامذته لسؤال الناس . وكثير منهم ممن ذهبوا إلى مكة وحجوا البيت الحرام يشاع تقديسهم ؛ وهم يستغلون هذه الاشاعات الخيالية طول المدة الباقية من حياتهم . ولكننا برغم هذا لا نعدم أن نجد بين هؤلاء المعلمين من يحيا حياة كلها تقوى وورع وسعى لنشر العلم . وفى معظم الولايات الاسلامية تقام الصلاة كل يوم كما يحتفل المسلمون بعيدى الفطر والأضحى إذ يسمونهما (Karamin Salla & Baban Salla) أى العيد الأصغر والعيد الأكبر

المذاهب الدينية

ويعتبر سلطان سكوتو Sokoto الرئيس الروحي لجميع مسلمي السودان الأوسط حيث يسمونه Sarkin Musulmi ولقد امتد نفوذه في أوائل هذا القرن حتى شمل تمبكتو غرباً وأجادز Agades شمالاً (ولكن هذا النفوذ لم يشمل بورنو حيث يتمتع الشيهو بمركز ديني يضاهي مركز سلطان سكوتو) وهناك مذاهب دينية مختلفة تعمل على تقدم الاسلام ونشره ، أهمها مذاهب القادرية والتيجانية والسنوسية . وللمذهبين الأولين أتباع كثيرون في مختلف أنحاء نيجريا ، وخاصة مذهب التيجانية الذي أسسه أحد أساتذة بلاد المغرب واسمه « سيدي أحمد التيجاني » وكثير من ثورات السودان المحلية يرجع لتأثير هذا المذهب في السودانيين . أما مذهب السنوسية فلم يتعمق إلى الجنوب كثيرا ؛ لقد بلغت دعوته شمال نيجريا وله بعض الأتباع في سكوتو وبورنو . وليس هناك ما يميز أتباع هذه المذاهب عن بقية المسلمين سوى رغبتهم وسعيهم للتطهر ، وسوى حلقات الذكر التي يقيمونها في الحين بعد الحين (وإن كانوا لا يفهمون معنى ما يقولون أثناء الذكر كما يقول Meek)

والمساجد منتشرة في كل مدن الاسلام ، أما في القرى فالمسجد قطعة من الأرض مسورة بحاجز من الخشب

الاسلام ينتشر والمسلمون لا يبشرون به

لا يوجد بين المسلمين الآن إرساليات تبشيرية تعمل لنشر الاسلام ، ولكن الاسلام ينتشر عفواً بين تلك الجماعات دون بذل مجهود . والجهاد عند المسلمين واجب لنشر دينهم بين الوثنيين ولكننا لو عرفنا أن الجانب الأعظم من دخل الفولاني يعتمد على تجارة الرقيق بدا لنا السبب في عدم اهتمام هؤلاء كثيراً بالتبشير لدينهم بين الوثنيين

ومع هذا فقد كانت هناك إرساليات تبشيرية هامة في أوائل حكم الفولاني . فان لاندر Lander يحدثنا أنه قابل في Island village of the niger معلمين من الفولاني Fulani Malams أرسلهم أمير نوبي Nupe لينشروا تعاليم الاسلام بين السكان الوثنيين

غير أن الاسلام لم ينتشر في تلك الجهات نتيجة سعي الارساليات قدر ما انتشر نتيجة جذب ثقافة المسلم العالية لجيرانه الوثنيين . والآن بعد سهولة المواصلات أصبح المسلمون أكثر اتصالاً بالوثنيين ، وكانت نتيجة هذا أن الوثني الذي يتعدى منطقة إقامته يرى أن من الصالح أن يعتنق الاسلام ، وأن يتبع المسلمين في أسلوب حياتهم ، لأنه سريعاً ما يدرك ضيق دينه إذا قارنه بمالية الاسلام ؛ وهو إلى هذا كله لا يجد صعوبة في انتقاله من الوثنية إلى الاسلام ، فهو بالمعاشرة يستطيع بسرعة أن يستسيغ نظم الدين الجديد . والوثني كذلك يرى أن المسلم متسامح وأنه يعيش في منزل أنظف من منزله ويرتدي ملابس خيراً من ملابسه ، وله بالعالم معرفة أوسع من معرفته . فلا غرو بعد هذا إن فضل الوثني الاسلام فاعتنقه . والوثني عند ما يسلم يغسل جسمه كله ثم يعلن إسلامه في المسجد

نظم التعليم في تلك الجهات

وهناك مدرسة في كل بلدة من بلاد الاسلام يديرها معلم من الأهلين ، ويرسل إليها الأطفال في سن مبكرة غالباً بين الثالثة والرابعة ، يرسلهم آباؤهم إلى هذه المدرسة فراراً من الجهد الذي يبذلونه لرعايتهم . ومن هؤلاء المعلمين من يمارس التجارة إلى جانب مهنة التعليم . أما الأطفال فهم يستمعون إلى دروسهم في العادة ساعة في الصباح وساعة في المساء ، وهؤلاء الأقوام لا يهملون تعليم بناتهم . ويتلقى التلاميذ دروسهم عادة قبل شروق الشمس وبعد غروبها حتى يستطيع الصبية منهم خدمة الحقول أثناء النهار

وأول ما يتعلم الأطفال الصلاة ، ثم يعلمون كيف يقرأون القرآن ، ثم يتلقون بعض الواجبات الدينية كشروط الوضوء وطرق الاغتسال وغيرها . والأطفال يقرأون العربية جميعاً وراء معلمهم بصوت مرتفع منغم . وإذا تقدم الأطفال في السن وكبروا علموا شيئاً من تفسير القرآن ؛ غير أن نظم التعليم العامة عندهم تسير على نهج آلي . فمعظم الأولاد يحفظون القرآن كله أو بعضه ، وهم لا يفقهون له معنى . بل إن أكثر المعلمين هناك ثقافة لا يعرف شيئاً عن التطور الفكري الذي يسود العالم الاسلامي اليوم . وإن كان هناك نفر من النيجريين على درجة كبيرة من العلم والثقافة فمنهم شيهو دان فوديو Shehn Dan Fodio وقد ألف كتاباً في اللاهوت وابنه بلو Befo وهو نحوي ومؤرخ مشهور وغيرهم كثيرون . ولا يتقاضى المعلمون مرتبات غير الهدايا التي تقدم إليهم . وعند ما يتم الولد دراسته يأخذ المعلم من أهله حملاً أو عنزة ومع هذا فإن ٣٪ من المسلمين فقط هم الذين يقرأون ويكتبون

فضل الاسلام فى توحيد هذه القبائل المبعثرة

يبدو لنا بعد هذا بوضوح كيف أن نظم الاسلام الاجتماعية والسياسية توافق الزنوج كل الموافقة خصوصاً وإن زنوج السودان يسود بينهم الدم الحامى أو دم البحر الأبيض المتوسط . فالاسلام إذ يفرض على هؤلاء الناس الختان ويبيح لهم تعدد الزوجات ويمنعهم عن أطعمة خاصة ويحرضهم على أن يكونوا أحرارا ، لا يطلب منهم المستحيل ، بل إن Meek يقول « إن الاسلام إذ يفرض على الزنوج عبادة الله لا يفرض عليهم جديداً فإن Animistic people فى نيجريا يعتبرون إله السماء هو المسيطر والمنظم للعالم »

وبعد هذا فإنا لا ننسى كيف حمل الاسلام إلى هؤلاء الأقوام الشعور بضرورة الوحدة ، فلقد جمعهم بعد تفرقة . والفضل كل الفضل للاسلام إذ كون من تلك القبائل المبعثرة وحدات متحدة قوية ؛ بل إن ميك يعترف بالفضل للاسلام إذ وحد هؤلاء الناس حتى استطاع الانكليز أن يحكموهم هذا الحكم غير المباشر . وإن كان المسلمون فى تلك الجهات هم الذين يتولون أمورها ولهم قيادة الرأى العام فيها

* * *

لقد رأينا كيف اتسعت موجة الاسلام واتسعت حتى تلاشت فى القرن التاسع عشر وابتدأت حركة الاستعمار ووجد المستعمرون أن مصدر الصعاب التى قامت فى طريقهم هو الاسلام والخلاف الدينى بينهم وبين أهالى الجهات المستعمرة . ولذلك فهم يبذلون الآن جهدهم لنشر المسيحية حيثما حلوا . وهم يجذبون الناس إليهم بمختلف الوسائل التى تحمل طابع الانسانية ، فهم ينشئون المستشفيات والمدارس ودور اللهو والكنائس وغيرها . ثم هم يجتهدون أخيراً أن يحولوا بين مسلمى السودان وزنوجهم لينشروا بينهم المسيحية . ولكن واجب المسلمين الآن أن يلقوا بالدعوة من جديد حتى تبتدئ الموجة ثانية وتتسع . . وتتسع حتى تصل إلى هؤلاء الأقوام فتحسن من تعليمهم وتعمل على تقوية إيمانهم . ولا أحسب أن هناك قطراً يصلح لهذه المهمة غير مصر ؛ ولا أحسب أن معهداً فى مصر يصلح لهذه المهمة غير الأزهر ، ورجال الأزهر . فهل يفكر القوم فى هذا ؟!

جمال الدين محمد الشيال

المراجع

1 — Keane : North Africa
2 — Hogben : The Muhammedan Emirates of Nigeria Oxford 1930.
3 — H. H. Johnston ; The Colonization of Africa Cambridge 1913
4 — Meek : Northern Nigeria v. II

١ — ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار المغرب . طبعة لايدن سنة ١٨٤٨
٢ — ابن خلدون : المغرب فى تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب طبعة لايدن ١٨٤٧
٣ — المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب طبعة لايدن سنة ١٨٤٧
٤ — ابن بطوطة : رحلته المسماة « تحفة النظار ... الخ »

النقض فى المواد المدنية والتجارية

تأليف

حامد فهمى — المحامى بمحكمة النقض والابرام

الدكتور محمد حامد فهمى — أستاذ قانون المرافعات بكلية الحقوق

ظهر حديثاً أول كتاب فى هذا الموضوع فى الفقه المصرى يوضح نظرية النقض ويجليها ويبين أصول الطعن بالنقض وقواعده ، يعرف وظيفة محكمة النقض ونظامها وتاريخ نظام النقض فى مصر وفرنسا ، ينتظم ثلاثة كتب الأول من حالات الطعن على الجملة ثم على التفصيل ، والثانى عن أركان الطعن وشروطه وآثاره ، والثالث عن الأحكام التى تصدرها محكمة النقض وآثارها الخ الخ

وللكتاب فهرست تحليلى مفصل لموضوعاته

ويقع الكتاب فى ٧٨٠ صفحة من القطع المتوسط طبع طبعاً متقناً على ورق جيد بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمن النسخة منه مائة وخمسون قرشاً صاغاً ويطلب من دار اللجنة فى شارع الكردانى رقم ٩ ومن المكاتب الشهيرة